هذا الامر كانت السموات والارض معدومة لم تكن عارفة ولا فاهمة للخطاب
فلم يجز توجه الامر اليها فان قيل روي مجاهد وطاوس عن ابن عباس انه
قال قال الله للسموات والارض اخرجا ما فيكما من المنافع لمصالح العباد
اما انت يا سما فاطلعي شمسك وقمرك ونجومك وانت يا ارض فشقي انهارك
واخرجي ثمارك ونباتك وقال لهما افعلا ما امرتكما طوعا والا الجأتكما الى ذلك
حتى تفعلاه وعلى هذا لا يكون من قوله تعالى اتينا طائعين حذف وتهما فى ذاتهما
بل يكون المراد من هذا الامر ان يظهرا ما كان مودعا فيهما اجيب
بان هذا لم يثبت لانه تعالى قال عز من قائل **فقضاهن** اي خلقهن خلقا
ابداعيا **سبع سموات** وذلك يدل على ان حصول السما انما حصل
بعد قوله ائتيا طوعا او كرها تنبيه الضمير للسما على المعنى
كما قال تعالى طائعين وتحوا عجاز نخل خاوية ويجوز ان يكون
ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات وسبع سموات حال على الاول
وتمييز على الثاني وقوله تعالى **في يومين** قال اهل الاثر ان الله تعالى
خلق الارض يوم الاحد والاثنين وخلق سائر ما في الارض يوم الثلاثا
والاربعا وخلق السموات وما فيها يوم الخميس والجمعة وفرغ في
اخر ساعة يوم الجمعة فخلق فيها ادم وهي الساعة التي تقوم فيها
القيامة ولذلك لم يقل هنا سوا ووافق هنا ايات خلق السموات
والارض في ستة ايام وعن ابن عباس ان اليهود اتت النبي صلى الله
عليه وسلم فسالته عن خلق السموات والارض فقال خلق الله
الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال وما فيهن من منافع يوم
الثلاثا وخلق يوم الاربعا الشجر والماء والمعاش والعمران والخراب
فهذه اربعة وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم
والشمس والقمر والنجوم والملئكة الى ثلاث ساعات بقين منه
فخلق في اول ساعة من هذه الثلاثة الاجال حتى يموت من مات
وفي الثانية القى الافة على كل شي مما ينتفع به وفي الثالثة خلق
ادم فاسكنه الجنة وامر ابليس بالسجود له واخرجه منها في اخر ساعة
قالت اليهود ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد
اصبت لو اتممت قالوا ثم استراح فغضب النبي صلى الله عليه وسلم
غضبا شديدا فنزل ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون فان قيل
اليوم عبارة عن النهار والليل وذلك انما يحصل بطلوع الشمس
وغروبها وقبل حدوث السموات والشمس والقمر كيف يعقل
حصول اليوم اجيب بان معناه انه مضى من المدة ما لو حصل

هناك فلك وشمس لكان المقدار مقدار اليوم كما مر وقضا الشي اتمامه
والفراغ منه قال ابن جرير وانما سمي الجمعة لان الله تعالى جمع فيه خلق
ادم وخلق السموات والارض اي فرغ من ذلك واتمه **واوحى** اي
القى بطريق خفي وحكم مثبوت قوي **في كل سما امرها** اي الامر الذي
تولت دبرها ودبر منافعها به على نظام محكم لا يختل ودوام مبرم لا
يمحل وقال عطا عن ابن عباس خلق في كل سما خلقها ملايكة وما
فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه الا الله تعالى وقال السدي
يعني خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها ولله في كل سما بيت تحج
اليه وتطوف به الملايكة كل واحد منها مقابل للكعبة بحيث لو وقعت
منه حصاة لوقعت على الكعبة ولما خص ايضا تلبنا اشارة الى تشريفنا
فقال تعالى صارفا القول الى مظهر العظمة تنبيها على ما في هذه الاية
من العظم **وزينا** اي بما لنا من العظمة **السما الدنيا** اي القربى
اليكم لاجلكم **بمصابيح** وقيل النيرات التي خلقها الله في السموات
وخص كل واحدة بضوء معين وسير معين وطبيعة معينة لا يعرفها
الا الله تعالى ولا ينافي في كون الدنيا مزينة بذلك ان لا تكون النجوم في
غيرها مما هو اعلى منها لان السياق دل على انها زينة وقوله تعالى
وحفظا في نصبه وجهان احدهما انه منصوب على المصدر بفعل مقدر
اي وحفظناها بالثواقب من الكواكب حفظا والثاني انه مفعول من اجله
على المعنى فان التقدير وخلقنا الكواكب زينة وحفظا قال ابو حيان وهو تكلف
وعدول عن السهل البين والمعنى وحفظناها من الشياطين الذين يسترقون
السمع بالشهب او من الافات **ذلك** اي الامر الرفيع الشان البديع **تقدير
العزيز** اي الذي لا يغلبه شي وهو يغلب كل شي **العليم** اي المحيط
علما بكل شي والعزيز اشارة الى كمال القدرة والعليم اشارة الى كمال العلم
ولما كان التمادي على اعراضه كانه حدد اعراضا غير اعراضه الاول
قال تعالى منفصلا بعد قوله تعالى فاعرض اكثرهم عن اعراضه الاول
فان اعرضوا اي استمروا على اعراضهم بعد هذا الوقت الشان او اعرض
غيرهم عن قبول ما جئتهم به من الذكر بعد هذا البيان الواضح في هذه الايات
الذي دلت على الوحدانية والعلم والقدرة وغيرها من صفات الكمال اتم
دلالة **فقل** اي لهم **انذرتكم صاعقة** اي احذركم ان يصيبكم عذاب
شديد الوقع كانه صاعقة **مثل صاعقة عاد وثمود** وقال المبرد
الصاعقة المرة المهلكة لاي شي كان والانذار التخويف وانما خص
هاتين القبيلتين لان قريشا كانوا يمرون على بلادهم ثم علل ابلغ ذلك
بقوله تعالى **اذ** ويجوز ان يكون ظرفا لصاعقة وظرفيته لا تنافي علته

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)